ألفريده يلينك

عنف اللغة ونسيان التاريخ

(نوبل)..تتويج للنسوية أم لمعاداة اليمين المتطرف؟

علي بدر

قبل أيام حازت الروائية النمساوية من أصل تشيكي الفريدة يلينك جائزة نوبل ، يلينك الكاتبة النسوية الخارجة عن الخط ، يلينك المنحرفة عن التيار السائد بجلاء ، يلينك المدافعة عن بيكيت وكافكا والمفارقة لكارل كراوس وتوماس مان ، يلينك النمساوية الخائنة لأمتها ذات التاريخ النازي ، والناقمة على مجتمعها الذي يدفع بها نحو أوحال السياسة والبورنوغرافية والسقوط.. لم تكن كاتبة هامشية وقد حازت على أكثر من ثلاثين جائزة أدبية في بلدها غير أنها مناضلة يسارية ضد اليمين المتطرف ، نسوية ضد التسلط الذكوري في المجتمعات البطرياركية ، أوربية ضد أميركا في حروبها على العالم الثالث ، فإن كانت كاتبة متهمة باللا أخلاقية والبورنوغرافية والأدب المنحط والمتدني ، فهي في الواقع كاتبة أخلاقية بامتياز تؤمن بالفضح الأخلاقي للعيوب الاجتماعية والثقافية والسياسية..

وإن لم تكن نمساوية على طراز كراوس أو هاندكه فهي مواطنة عالمية مهجنة بامتياز، فقد كان الأب يهوديا والأم كاثوليكية، وكان الأب تشيكيا والأم نمساوية، وكان الأب من أصل وضيع والأم تنحدر من برجوازية فيينا الكبيرة، ولما كان والدها يساريا فلم يلقنها أية تربية دينية، لذا فإنها لا تحمل من اليهودية إلا اسمها، ولم تكن تحمل من المسيحية إلا ما علق في ذهنها من دراستها في معهد سيون وهو معهد كنسي لتلقين الموسيقى والرقص واللغة الفرنسية، كانت يلينك مثل كافكا سلافية تكتب باللغة الألمانية، لذا لها أكثر من صلة معه: الخوف الماورائي المتجذر، العالم المرسوم من قوى خفية وسرية، الخوف المدمر..هذه الثيمة الغرائبية بامتياز والتي تتلقفها يلينك من كافكا بحماس لغوي استثنائي، وبروح مقاتلة بضراوة على الرغم من نورستانيتها وضعفها، على الرغم من هشاشتها وشفافيتها، على الرغم من انهيارها وعزلتها.

يلينك المولودة في فينا في عام ١٩٤٦، عازفة البيانو التي درست الموسيقى في فيينا كونسرفتوار، كانت تعيش دائما وضعا نفسيا مضطربا ورثته عن والدها الذي عمل طويلا في الأبحاث الموضوعة لخدمة الحرب مما أبقاه محميا من ملاحقة النازيين، إلا أنه انتهى مجنونا في المصح حتى مات، وقد كتبت يلينك روايتها الأولى " إننا طيور الإغراء يا صغيري" وهي في حالة اضطراب نفسي شديد وفي عزلة تامة عن المجتمع، وكان صراعها ضاريا ضد مجتمعها وضد أمها العصامية البرجوازية المحافظة التي روضت الابنة لإتقان الكثير من الفنون، فنصوصها أقرب إلى الوعظ الأخلاقي القاسي منه إلى البورنوغرافية الشهوانية المتفلتة، أقرب إلى الفضائحية الاجتماعية منه إلى التكتم المتحفظ، فالمشاهد الجنسية العنيفة والقاسية تثير في القارئ التقزز والنفور أكثر مما تثير فيه الشهوة والرغبة، لذلك أثارت حفيظة المجتمع النمساوي ضدها، وحرضت النخبة السياسية ضد كتاباتها ونصوصها لأنها كشف لاذع للمجتمع الطبقي وإدانة للتراتب العنيف، موضحة من خلال سردها الظلم الاجتماعي والسياسي والأخلاقي، وفاضحة من خلال مسرحياتها النظام الذكوري والسياسة اليمينية في بلدها، وبالرغم من الحملات القاسية التي تشنها الصحافة عليها، إلا أنها احتفظت بتلك الاستمرارية الحازمة والقوة الأخلاقية الصارمة والتي لا تكف عن التقويض والهدم.

❖

يلينك كاتبة مجادلة تميزت رواياتها ومسرحياتها ومقالاتها بالتحليل الدقيق والمعمق للموضوعات الحساسة: الجنس والعنف والسيطرة، فأثارت الكثير من الجدل في الأوساط الثقافية والإعلامية لا لنقدها الحاد والشامل للمجتمع النمساوي الذي تصفه بأنه مصاب بمرض نسيان التاريخ، وتتهمه بالنازية والفاشية والحنين للعنف والقوة والهيمنة، ولا لأنها الكاتبة النسوية المتهمة بالبورنوغرافية والخلاعة المتفلتة والتي تعد تأريخ المرأة هو تأريخ فناء المرأة، فقط، إنما أيضا بسبب علاقتها المتوترة دائما مع السلطة السياسية في بلدها، والذي أخذ منحى الحملات المتكررة من قبل اليمين المتطرف الذي رفع شعار (تريد الثقافة أم يلينك؟) ومن ثم علاقتها المحتدمة مع الأحداث السياسية في العالم: مواقفها الصارمة من الحرب على العراق، مواقفها الشاجبة لسلوك الولايات المتحدة في العالم، فضحها لتفرد القوى القاهرة وتهميش العالم الثالث، والنضال بالضد من الظلم الاجتماعي، والفوارق الطبقية، وهيمنة الشركات العابرة للقارات، كما أنها واحدة من أكبر الكاتبات النسويات في العالم أوقفت كتاباتها على فضح القهر الذي تعاني منه المرأة، والفناء البطيء والانسحاق الكلي الذي تعيشه والذي ينتهي ببطلاتها دائما إلى فكرة التدمير الذاتي والانتحار، وهي تضع المرأة في العالم المعاصر جنب الأقليات والمهاجرين والملونين، وتعد كتاباتها ونصوصها لغة استطيقية عنيفة تستخدم بالضد من العنف القادم من قوى السيطرة والهيمنة، ضد الشرور والاستسلام المذل والانسحاق المهين.

لغة يلينك لغة خاصة، لغة تتدفق بعنف لكنها لا تصل، لغة منقطعة وسط الطريق إلى المعنى، لغة ما بعد المعنى، لغة تقطع الأنفاس، خانقة، محرضة، صعبة، غير مفهومة، لغة إيحاء أكثر مما هي لغة توصيل، لغة رمز أكثر مما هي لغة تقرير، لغة تدفق موسيقي للصوت الأول ثم نقيضه، لغة أصوات تتجاوب فيما بينها ثم تتنافر بعمق وتبتعد عن بعضها، لكن المهيمن الحقيقي الذي يرسم المشهد ويلونه: هو الصوت المفرط الكئيب، الصوت الذي يتقدم بيسر من وراء مجموعة من الأصوات التي تتداخل مع بعضها وتتنافر مع بعضها، صوت يلينك الخافت والمشكك، صوت يلينك الحزين والمغترب والمحرض والعنيف، صوتها الهادئ والمتكسر، صوتها المتقطع الغائر، صوتها القادم من بعيد، صوتها الحالم والمأساوي واليائس والبريء بنغمته المكتومة وتحرره المتحمس، هو الصوت الذي يفضح سياسات الهوية، وقوى الهيمنة والإخضاع، هو الصوت الذي يكشف النبرة الذكورية المنتصرة، ويدين بلا هوادة العنف التاريخي المتكرر، والقسوة المفرطة التي تفرخ دائما في أرض الجبن العسكري.

❖

إن صور الجنس ومشاهد القسوة والعنف تتمازج بشكل كامل في الأعمال السردية والمسرحية ليلينك فضلا عن لغتها الرمزية والإيحائية والغموض الذي يتخللها، ففي رواية عازفة البيانو تصور يلينك حياة أريكا كوهوت العانس في منتصف الثلاثينيات، وقد اختارتها أمها المستبدة لتضحي بها على مذبح الفن، فتهيئها بعناية فائقة وتجعلها تتدرّب بقسوة على آلة البيانو لتصنع منها فنانة كبيرة، غير أنها لم تكن موهوبة بما يكفي لتصبح عازفة بيانو ماهرة، وبدلا من ذلك تعمل كمعلمة للموسيقى في معهد فينا الموسيقي، إن البراعة الفنية التي تقدمها يلينك في هذه الرواية هي التصوير الحي لبطلتها وهي صامتة في المنزل، مقهورة ومطيعة لأمها، غير أن لأريكا في الجانب الآخر حياة أخرى تماما، حياة مختلفة كليا عن حياتها في منزلها أو في مكان عملها في معهد فينا الموسيقي، فهنالك، جانب جنسي منحرف في حياة أريكا لا تستطيع قمعه، حيث تخرج في الليل متسللة من منزلها لتذهب إلى ملاهي السترتيز الليلية، أو تذهب إلى المتنزه المحلي حيث يلتقط الأتراك والصربيون والكروات المهاجرون العاهرات من هناك، كانت أريك تدرب نفسها ليلا على حياة مومس تخضع للتهديد والضرب والركلات وتعيش شروطا تعيسة قاهرة، ثم تعود صباحا لتحيا حياتها الطبيعية كمحافظة، صامتة، ومعلمة منضبطة حتى تقع في حب أحد طلابها، والتر كليمير، غير أن أريكا تفضح ميولها المازوشية أمامه وتطلب منه أن يعذبها بالركل والضرب قبل أن تنام معه في الفراش، فيعرقل حبهما لطالبها اللامع، والتر كليمير، حياتها المنظمة والمحترفة وعالمها الصارم عاطفيا في البيت مع الأم، فتكتب أريكا رسالة مطولة تشرح بها تخيلاتها المفسدة، فتسأل والتر هل أقرفك؟

تكتب يلينك المشاهد الطويلة بنثر غامض ومركز تعرض فيه التلصص الجنسي ممتزجا مع التشويه الذاتي للشخصيات، والرغبات المنحرفة ممتزجة مع الهمجية البشرية الضخمة، وتكشف عبر مقاطع نثرية هائلة هذا الانحراف المتعمد في الشخصية؛ فالقوة تعيد لمدينة فينا شكلها المخفي، والعنف يفضح التستر الأخلاقي على الانحراف فتعيد الألوان الحقيقية للنمسا قبل نصف قرن: الاستعارة الرمزية للحياة السياسية والاجتماعية عبر مثلث الحب العصابي، العنف المشوش بالحب، والنزعة الفاشية الاجتماعية التي بدلا من أن تتطور نحو التوقف الحتمي تثير عواطف فوضوية لدى الناس.

إن نصوص يلينك هي رحلة استكشاف للفاشية في المجتمع النمساوي، لا في الإحساس السياسي إنما في الإحساس الشخصي أيضا، فاللغة الصعبة المملوءة بالتلميح، والفصاحة البارعة، والاستعارات التلميحية، والقسوة الغريبة، تمتزج كلها مرة واحدة في أداء بارد وإيقاع رتيب يتصاعد شيئا فشيئا حتى يصل إلى الذروة، فتصور من خلال هذه اللغة المعقدة التناقضات الغريبة في شخصياتها: عازفة الموسيقى المتكتمة، الأم الصارمة، العاشق الأناني، ومن ثم تحولات الشخصيات: الابنة المحافظة في الصباح هي صائدة الرجال في محلات الدعارة في الليل، معلمة الموسيقى العذبة والرخيمة في المعهد هي المازوخية في فراش صديقها الذي يصغرها سنا، وهنالك الأم التي تحب وتكره بقدر متساو دون الشعور بالتناقضات، وطالب الموسيقى المندحر عاطفيا، والعواطف الفالتة عن السيطرة، والجسد الذي يستهلك بنشوة انتحار وتدمير ذاتي بشكل بطيء ومتمهل.

❖

روايتها الأخرى هي "زمن، زمن رائع" تنفتح على مشهد النمسا بعد انهيار الرايخ الثالث، صورة كئيبة ومشوشة لأربعة مراهقين يرتكبون جريمة عنيفة في فينيس أحد متنزهات المدينة، القسوة التي تحل بشكل فجائي محل البراءة، الأفعال المجانية غير المسؤولة، الجريمة الفجة دون مبرر، هذه الرواية هي نوع من الاستكشاف الشديد والمرعب لحياة ما بعد الحرب، حيث ذنوب الآباء متفجرة بين يدي جيل جديد ساخط لا يفهم مصدر غضبه، تحاول يلينك أن تصل بنثرها المتقطع، وبجملها القصيرة الإيحائية والرمزية إلى تصوير الحياة المخربة في المدن، إلى رسم التداعي الهائل بعد الحرب، وهيمنة روح منفلتة غاضبة وشرسة، إلى تصوير ذنوب مجتمعها في تاريخه النتن، حيث تعلن بعد نهاية الفاشية أن لا براءة لأحد، البراءة المطلقة أمر مستنكر في أعمال يلينك ولا سيما لمجتمع قبضت عليه متلبسا وهو وسط السعادة الثملة لحنينه للنازية والفاشية، هنالك القلق المتفجر الذي يحدثه الموت بالمجان، الفضيحة التي تحدثها قسوة المنحرفين جنسيا، ما من أخلاق يبررها مبدأ عقلي إنما هنالك دائما إقرار بالعجز، وهروب، وأبطال يعيدون إلى القسوة ابتذالها على حساب الضعاف والمهمشين والعاجزين والشفافين والفنانين والأنبياء، تعلن رواية يلينك بأن الأخلاق قد انهارت كليا في أوربا..أوربا التي كانت تحلم بالأنوار في قرون فائتة، وأحلامها بالعقل الذي يحكم التاريخ حل محلها لاعقلانية العقل.

تغرق يلينك أبطالها وأحداث رواياتها بينبوع من الكلمات لتقترب من حالة مأساوية وأمراض عقلية لا شفاء منها، قسوة وعنف، روح مازوسادية، اهتياج فظ، جنون لا حد له يتكثف في شخصية رينير ويتكوسكي، الكذاب الجبان الأناني الذي يحب نفسه والذي قتل فيما بعد عائلته، روايات يلينك هي بانوراما كبيرة لمجتمع النمسا بعد الحرب العالمية الثانية: مثقفون عاجزن، رجال عنيفون، نساء يغتصبن بلا رحمة وهن عاجزات عن الرد، نساء ضعيفات مثل: آنا ويتكوسكي شقيقة رينير التي ترد على الرفض بخسران قدرتها على الكلام، جيل جديد، جيل يرث جيلا فاشيا مأزوما، ومجتمعا محطما، فالأب أوتو المشلول، كان ساديا قاسيا، وقد عاش على تراث النازية البغيض، ومن ثم حطم امرأته بقسوته الفظة وجشعه الجنسي الذي لا ينتهي، وكان يلتقط لها الصور الخلاعية حتى بعد أن فقدت شهواتها وأصبحت امرأة مهدمة، يلينك تصور مجتمع النمسا في ذاكرته الخافتة، مجتمع غير تائب؛ تأريخ كارثي لم يصفح عنه بعد، تأريخ يكرر نفسه في انفجار العنف بشكل حاد ومقرف، حاكما بذلك على أطفاله أن يعودوا وينتجوا هذا التوحش الذي عرفه آباؤهم من قبلهم.

❖

رواية "النساء كعشيقات أو أقنعة" هي محاكاة رومانسية ساخرة لبحث امرأتين "باولا" و "بريجيت" عن رجل مثالي، وإن عاشت بريجيت مع هاينز السمين لحظات سعيدة، فقد كان فرار باولا مع أريك مخيبا، ففي هذه الرواية القصيرة تحاول يلينك أن تدع أبطالها يعيشون نوعا من الشفقة القاسية، يعيشون هذه الرؤية الكئيبة الضيقة لحياة الجنس البشري على الأرض، ولا سيما في عالم الرأسمالية المتوحش، كل شيء عديم الجدوى، كل شيء عابث وباطل، وكل حياة هي فراغ، ويؤكد هذا الرؤية السوداوية النثر التكراري المنقط بغرابة الذي تستخدمه يلينك، النثر الهادئ الخصب والصعب والذي يفتقر للشفقة، والعالم الرمزي والغامض الذي يغطي الحياة الخانقة لبولا وبريجيت بعد أن يهربن إلى جبال النمسا، فالأولى تعيش مع إريك النتن والسكير، والثانية تنتهي بين ذراعي هينز الغبي والسمين. وبالرغم من فقر هذه الحياة والخيارات وقسوتها إلا أن يلينك لم تكن متعاطفة مع بطلاتها على الإطلاق بل صورتهن كما لو كن مخلوقات طماعات وضحلات، وفي الوقت الذي لا يتمتعن فيه بالجنس ذلك لأنهن لا يستحقنه، وتقترب مشاهد هذه الرواية من روايتها الأخرى "الشهوة" إذ تصور يلينك الفساد المشوه، الفساد الغروتسكي، هذه العمارة العالية المحطمة المخربة للمجتمع النمساوي، فتستلهم رؤية ماركس عن العالم الرأسمالي المشوه بحرب الكل ضد الكل، حيث يجني مالك منتجع ألبي من سياحته التي تلوث البيئة وتخرب النباتات أرباحا هائلة، فتصور يلينك قدمه الضخمة وهي تدوس الأزهار متبخترا على فساد ثروته وأرباحه وما يجنيه من الناس، ويقسم وقته بين اضطهاد عماله وممارسة الجنس مع جيرتي، المرأة التي أوصلها برغبته النهمة بشكل تدريجي إلى الانهيار والإدمان على الكحول وإلى تدمير جسدها، حتى خرجت عصر يوم للتجول بثوب خفيف وصندل، فتعرفت على ميكيل الشاب الطموح مصمم الرؤى السياسية والذي افترسها جنسيا.

روايات يلينك روايات صادمة، فريدة في اللغة، صعبة ومعقدة، لكنها مرعبة وشاذة، التجانس الغريب، التنافر المقبول، النثر الحي والخصب، المفردات الغريبة، الاحتقار المستنكر للرأسمالية، الزواج بوصفه دعارة مشروعة، نساء يحصرن ويضربن غير إنهن غير جديرات بالعطف، أطفال نرجسيون طماعون، أشخاص أغبياء ومرتشون وفاسدون، محاكاة ساخرة لوصف ماركس للرأسمالية كحرب الكل ضد الكل. وهنالك التخيلات الحسية، الاندحار الأخلاقي، الفضح القاسي للمجتمع النمساوي، العلاقة البارعة بين الميول الشخصية والميول السياسية، كلها تصور بهدوء وبطء كبيرين، وهذا ما جعلها في النمسا تعيش على الهامش تقريبا، بوصفها متعصبة يسارية غير مميزة ومجهولة، وهذا ما جعل الأكاديمية السويدية عرضة للهجوم مرة أخرى لأنها منحت الجائزة لكاتبة تنحو في نصوصها إلى الخلاعة الإجمالية والتطرف السياسي اليساري.

❖

كتبت يلينك نصا طويلا عن حرب التحالف على العراق، الجزء الأول حمل عنوان " بامبي لاند" الجزء الثاني أسمه" بابل" أما الجزء الأخير فهو عبارة عن مونولوج داخلي بعنوان "بيتر يقول" ويتحدث عن التعذيب الذي تعرض له السجناء العراقيون في سجن أبي غريب، وهذا المونولوغ الغريب والمعقد بعض الشيء يصور الجنود الأميركان بصحبة صابرينا المجندة التي تلتقط الصور لهم، بينما يتحدث بيتر مع نفسه بشكل مضطرب ومرتبك وحيادي: "لقد كسبوا أنفسهم وهكذا هو جلدي، أنا بينهم جرح هائل، الجرح كله، الدم يتدفق من كل مكان، الأعصاب والحبال تكذب بشكل بسيط وزاه، الضوء يبدو لي قادما من الأضلاع الموضوعة على الأطراف، لم يكن أكثر من بشر، هكذا، وهذا الذي يملك الآن أحشائي geklaut؟ يعود فورا! كلا، أنا، ليس.. ذلك.. عند.. هناك! نحن لسنا على الرغم من هذا نلعب البيسبول! نحن أيضا لم نكن مع طيور، وعلى الرغم من هذا هنالك من يعتقد بأني طير، نسر، أنت تريد أن تنزع منه أحشائي. لكن قبل أن تلتقط صورتك الآن! بسرعة أنت تضغط الزر، ما عدا هذا فالنسر بعيد، على الرغم من هذا فهو نوع حيواني محصن..".

ومن ثم يتقدم بيتر في الحديث عن تصوير التعذيب وتصويره، وإرسال الصور إلى الأم والأصدقاء وعرضها في الفيديو، وفي الأنترنيت، فالتعذيب يأخذ شكل الفرجة في العالم الغربي، وتستمد الرأسمالية الظافرة قوتها من هذا التصوير السادي، ولاسيما لأجساد عربية مجانية ورخيصة:

"مثل زجاج المربى، الذي ترسله الأم، هنالك لندي أيضا في الصورة، وهي تستخدم أحمر الشفاه، ..شيء سميك بعض الشيء على الرغم من هذا، لا يجدك، أنت أيضا لست في الصورة، لماذا له الآن منديل أو منديل أو قماش نورمالو أو شيء هناك تحت الزجاج الضيق؟ أنا لا أسأل طبيبا أو صيدليا بالأحرى! على الرغم من هذا الشيء هناك الأعضاء الداخلية، زميلي سيكون فيها. قطعة الكبد أو الخصيات، يبقيه ليسلّينا إذن..أنا لا أريد معرفته مطلقا. سنفكر بأننا قادرون على العرب، هل هم مقدسون، إنهم ملكنا منذ وقت طويل، هم لا شيء، سعرهم رخيص، يبدأ هناك معنا فقط، بالصور، ليس فقط معنا، مع لندي وصابرينا والهائل مايجن، هو يعرف فضلا عن هذا في مكان آخر من المؤخرة شيئا يسر كي يكون، حالة انسحاب العضو الأمامي جدا. هكذا العضو يسقط. فهمت ذلك؟ حسنا. شهادة الموت أصدرت. كل شخص يريد يمكن أن يراه. أنا تدربت بطريقة جيدة، لا، ليس مع ماجونايس، الذي تكلمت معه قبل فترة، تدربت على أنني يجب أن أحطم كل عربي..".

أثارت هذه المسرحية ضجة كبيرة في الأوساط الإعلامية الأمريكية وهذا ما جعل ممثل الأكاديمية السويدي هوراس إنجداهل يصرح أن الجائزة لا علاقة لها بالقرار السياسي، وإن قرار منح جائزة نوبل قد اتخذ قبل أن تنشر يلينك مسرحيتها، وقال أن هذه المسرحية هي عرض للحماس الوطني الذي يتحول أحيانا إلى جنون، وإن السويديين خبراء في الوطنية فقد باعوا حديداً خاماً إلى النازيين بينما هم يدعون بأنهم كانوا محايدين في الحرب..النيويورك تايمز قالت إن يلينك "كانت عضوا في الحزب الشيوعي النمساوي من ١٩٧٤ إلى ١٩٩١، ومن يعرف شيئا عن تأريخ الأحزاب الشيوعية الأوروبية يدرك حقارة مثل هذا الخيار السياسي، فالحزب الشيوعي النمساوي لم يلعب في أوربا دورا مهماً في أي حدث تأريخي، وقد تحول بعد انسحاب القوات السوفيتية من النمسا إلى الكي جي بي، وقد تركت يلينك الحزب عندما أغلقت موسكو الحنفيات المالية عليهم في التسعينيات".

عد ميكائيل فان رايس قرار الأكاديمية السويدية قرارا شجاعا ذلك لأنه سيثير حفيظة أوساط عديدة تعتقد أن منحها الجائزة جاء متوافقا مع سياسة أوربية معادية للولايات المتحدة، كارل أوتو فيريكلاند عد الجائزة صراعا غير معلن بين الأكاديمية ورئيس الوزراء النمساوي يورغن هايدر واعتبر هذا القرار لتقوية مهمة يلينك بدلا من فن يلينك، قالت يلينك أنها لا تريد منح القوميين النمساويين أي امتياز ثقافي، ولا تريدهم الافتخار بحصول ثقافتهم على جائزة نوبل للآداب بسبب نمساويتها.

وهكذا ستبقى نوبل للآداب نزاعا بين السياسة والأدب.

رؤية

الاحتفاء بالنص.. متعة القراءة الأولى

زيد الشهيد

في جمهرة الرغبة الدفينة واحتشاد احاسيسه تتجلى مهمة الانتقاء والفرز في إشكالية القراءة.. ويتحدد على غرار الرغبة مسار الجهد القرائي حيث التفاوت واضح بين متلق وآخر صوب صرح كتابي خطاب معروض نص مدون.. هذا التفاوت المقصود يكرس ظهوره واتجاه مساره أمران:

١-ما يختزنه المتلقي من ثقافة تمتد جذورها إلى باكورة القراءات الأولى؛ وإرهاصات مرحلة التأسيس القرائية.

٢-استعداده لأن يمسك عدته ويغوص وصولاً إلى لؤلؤة الرجاء.. بيد أن ما يوحد الاثنين - المتلقي والآخر - ويضئل التفاوت المذكور بينهما هو النص المعروض... فما هو هذا النص المؤدي للمهمة؛ الآخذ على عاهله رصف العيون ونماء الاستعداد للتواصل حتى إدراك تخوم المنتهى، ثم الخروج إلى رحاب الدهشة؟!

بدءاً تستفزك هندسة الحروف المشكلة عنواناً (بادئ بدء النص / آخر أخريات الناص)، وتقتحم فضاءات ناظريك غرابة التكوين المشفر.. تعد أدوات الشروع إرهاصاً ثم نظراً، ثم تتبعاً.. يستدرجك عطر الكلمات الأولى - بعد فخ العنوان - حيث لحظة انطلاقة النص / الاستهلال الخادع(❖).. تأخذك لواحة غامضة بجغرافيتها / ضجيجة بإستيهامات طقسها.. كينونة نثار لتفصيلاتها.. تحار / تنبثق على دركات ذائقتك لذاذات تتابعية آسرة وهفو خرافي يسوقك كالحالك / كالمخدر / كالمأسور / كالمهووس / كالجائع جوعاً شهوانياً للتناول ضمن حدود هيمنة التداخل اللحظوي.. تستهلك من المحول فتتبين نفسك وسط رغوة ضبابية زرقاء، تسكب في قدح مسمعك أصواتاً تقطع عنك خيط التواصل المكاني - الماثل - منقاداً تحت تأثير عطر المفردات، فإذا النص استحالة رحلوية لكرنفال حفاوي تكرسه تمازجات لونية تنتج منمنمات وزخارف / نجوماً بيضاً وأحلاماً / بهاءاً والقاً.. أنغاماً تنبثق من غابات الروح.. تتيه بين أزقة السرد وحفاوة الوصف(❖❖).. يستحيل النص كائناً هادماً لصقيع الفناءات الثلجية، حاملاً دفء التضاريس الاستوائية واعتدالها.. يزجك في تفاعل ذاكراتي يميط من خلاله لثام الاماكن التي غمرتها تهافتات الاحداث، وضيعتها مفارق الدروب؛ وأخذها تيه الحياة الآيل إلى اللا بلوغ.

برمجة الذاكرة نستعيد أشرطة الذكرى فتنهال عليك الطفولة بشلالاتها / بشموسها / بشواطئها ومرافئها وفناراتها ومجساتها، وباصرتها المتوسدة في الاعوام النائية.. وبدلاً من ان يلاحقك النص بفحواه ويرهق ذائقتك بثقله ورتابته، وتأسف عند المنتهى لزمن صرف في عبث وهباء، ستجده المبتغى سائراً بأسطره يبث شذا الرغبة في التتبع، تلاحقه بنزوعك وتدعوه للتماهي مع رفقته فيما يحفز فيك إرادة خلق حثيث فلا يدعوك إلى القراءة المجردة - يرفض جعلك حيادياً - ولا يبغيك أن تكون كمن يقف أمام لوحة على جدار يسقط عليها انظاره لأجل متعة آنية، وعذوبة ستزول سطوتها حالما يخلفها - أي اللوحة - وراءه... لا يضيرك من قدم هذا النص؛ ولا كيف.. متى وأين.. سيكون الاحتفاء به وليد التعامل معه. (لقد افادتنا البنيوية بان ضمرت اسم المرسل وباعدت هيمنته من تشكيل الصورة التي تنبثق على ثرى أذهاننا لحظة القراءة وجعلتنا لا نتشكك إن كانت دلالاته تتفق ودلالاتنا المستنبطة... من هنا حدثت الاختلالات فتهاوت هيكلية الثلاثية الجدلية: المرسل - النص - المتلقي. وبانت هذه الاختلالات سمة النأي عن قصيدة التوجه المنسكبة من خالق الخطاب / المؤلف، المسبوكة سواء بانتاج دفق الشعور أو المنثالة بالرفيف اللا شعوري... هذه القصيدة التي كان الناقد التقليدي يبحث عنها كمفتاح لفهم النص حيث يحسبها البؤرة المركزية / الشيفرة التي تدور حولها رؤاه النقدية؛ ويحسب ناقداً ثاقباً حاد التفرس من يعبر بحور الكلمات وصولاً إلى مرفأ فك النص.. وبهذا صار النص بمثابة ملكية لا تتدخل فيها ذات المرسل؛ وصارت لنا حرية التأويل وإدراك الماهية.. أي اننا لم نعد نتعامل مع انا النص، فتفجرت الذائقة وتنامت المخيلة، ووسعت إزاءنا فضاءات القراءة وغيوم التأويلات.). بقيت الاشارة إلى أن الاقدام على قراءة النص والاحتفاء به تشكل إحدى مباعثه اللغة المراوغة التي وظفت مفرداتها كعامل توريط للقارئ، يغطس في هلام متعتها فلا يخرج إلا وهو مبتل برغاويها.. لغة ساقت الاحداث والشخوص والصور ونقلتها من المتخيل الذي يبدو واقعاً إلى الواقع الذي يغدو حقيقة معاشة تقر بنجازتها فنتوهم بان ما نقرأ يجري فعلاً.. ومن هنا تتأتى متعة القراءة الاولى التي ستؤول - تحت هيمنة سحرها - إلى قراءات آتية يكون فيه النص بئراً ثرياً يمد مريديه كلما ضمئوا وأقبلوا على النيل من منهله... لكن المتعة هذه ستتبدد - طبعاً - شيئاً فشيئاً بعد عدة قراءات، وسنكتشف بعد حين لعبة النص الذي أغوانا بعطفاته، ودهاء اللغة التي اسقطتنا في حبائلها.. غير أن هذا الاحتفاء بذلك النص سيبقى - لزمن طويل - ماثلاً؛ ومتعة القراءة الاولى ستترك اريج فعلها نافذاً في مفازات الذاكرة.

الهوامش

(❖)يناط بالاستهلال دور فائق في الاقبال على الممارسة القرائية. فهو الفاتحة الجاعلة القادم يرسخ الأقدام وقوفاً؛ إثباتاً لصلابة الأرض لا هشاشتها؛ وهو بهذا يعد ثاني فخ يعتمده النص للكسب.

(❖❖)يعمل السرد على بناء سيروري يقود نحو توجيه ذهن القارئ صوب قناعة تتنامى بغية التصديق. يرافقها شد يولد جملة استفهامات لما سيحصل ويجري ويؤول بينما تتخذ سياقات الوصف غرض تعميق الحدث المنتج صوراً.. والقدرة الوصفية هنا تعتمد البراعة المنسكبة على جسد الخطاب وصولاً لاستكمال عملية التصديق.

ايضاح من غير قصد!

محمد درويش علي

لا ادري ما الذي اغاظ مخرج مسرحية "اعتذر أستاذي" وأثار حفيظته لكي يعلن براءته من عنوان تصدر الصفحة التي كرست للاحتفاء، بفوز مسرحيته المذكورة، في مهرجان القاهرة الدولي للمسرح التجريبي، في ثقافية المدى ليوم ٢٥/ ١٠/ ٢٠٠٤، مما جعله يقدم ورقة بهذا الصدد إلى ثقافية المدى؟!

لقد ثبتنا هذا العنوان استناداً إلى ما قاله الفنان محسن العزاوي، الذي شارك في الندوة التي اقامتها ثقافية المدى، كونه أحد أعضاء الوفد المشارك في المهرجان المذكور، الذي كرم تقديراً لتاريخه الفني الطويل في المسرح العراقي. ولم نفهم من كلامه اساءة إلى وزارة الثقافة، بل تأشير خلل ما، واستشهد بفرق كرة القدم التي تحظى بالرعاية والاهتمام من قبل الجهات المعنية، اكثر مما تحظى به الاعمال الفنية من قبل الجهات الفنية والثقافية واستمع الجميع في الندوة إلى الحديث ولم يعترض أحد على ما جاء فيه، وانما عقب مخرج المسرحية على ضرورة الاهتمام بمثل هكذا اعمال من قبل الفنانين بشكل عام، وشكا من عدم اكتراث الكثير من الفنانين، بفوز مسرحيته وعده حالة غير طبيعية، وكأنه بذلك يعزز قول العزاوي، ولا يرفضه.

تنويه

د / هيثم عبد الرزاق

جريدة المدى مشكورة أحتفت بمجموعة ورشة فضاء التحرير المستمر بمناسبة فوزها بجائزة مهمة في مهرجان القاهرة الدولي للمسرح التجريبي وكنا سعداء جداً بهذا الاحتفاء..

ولكن بعد نشر المادة ظهر عنوان كبير في الاعلى يؤكد تجاهل وزارة الثقافة لفريق العمل. فأحس فريق العمل بنوع من عدم الارتياح بهذا العنوان وهذه ليست مجاملة لوزارة الثقافة لأننا إذا شعرنا كفريق عمل محايد يوماً بأي غبن او خلل بالجهاز الاداري أو الثقافي من قبل الوزارة سنعلن عن هذا الغبن بأعلى اصواتنا ولا يردنا شيء عن ذلك لكن الذي حدث أن فريقاً عملياً قد شكر الأستاذ كامل شياع والدكتور شفيق المهدي وجمعية الفنون التشكيلية لما قدموا لنا من خدمات في الفترة التي كان فيها الوزير خارج البلد في مهمة ثقافية هذا هذا فقط للتوضيح ونضيف مرة اخرى تشكرنا للجهات التي تعودنا على روح الحوار والاحتفاء بالثقافة والانتماء وفي مقدمتهم جريدة المدى الرائعة.